

الحوار في القرآن الكريم

د. عودة عبدالله*

اعتمد للنشر في ١٨/١٠/٢٠١٢م

سلم البحث في ١٧/٩/٢٠١٢م

ملخص البحث:

يعد الحوار من أهم وسائل الاتصال بين الناس، وأكثرها قدرة على التأثير في الآخرين، ومن هنا فقد اعتنى به القرآن الكريم عناية فائقة، واستعمله في كثير من آياته، باعتباره وسيلة أساسية للوصول إلى الحق. وقد شكّل الحوار في القرآن الكريم وسيلة من وسائل التربية والتوجيه، وشمل كل اتجاهات الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية.

وبرز الاعتماد على العقل كاتجاه واضح في كل أساليب الحوار في القرآن، لأن الحوار القرآني يركّز على النتيجة، ويهتم بإعلانها ونشرها؛ لأنها محور الخصومة، أمّا الخصم فلا يهدف القرآن إلى إيذائه أو النيل منه، حتى بعد إعلان خطئه، لأن القرآن لا يهتم كثيراً بالأشخاص إلا بمقدار اعتراضهم طريق نشر الدين.

Abstract:

Dialogue is one of the most important means of communication between people and the most influential on others. Therefore it was given an enormous attention in the Quran and used in many verses as an essential means to reach the truth. The dialogue in the Quran is a technique for education and guidance that includes all trends of religious, social and political aspects of people's life. The reliance on reason has emerged clearly in all methods of dialogue in the Quran because the dialogue focuses on the announcement and dissemination of results as it is the center of adverseness. At the same time the Quran does not intend to harm the opponent himself even after the announcement of his mistake, because the Quran is not much concerned about individuals unless they tried to prevent spreading religio.

* أستاذ مشارك بقسم أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين .

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد..

فإنَّ منْ عظمة كتاب الله سبحانه وتعالى، أنْ رَسَمَ الله لنا فيه طريق الخير والهداية، وجعل لنا سبحانه وتعالى في هذا الطريق مناراتٍ نهتدي بها في ظلمات الليل البهيم. والناظر في القرآن الكريم، يجد أنه حوى كنوز العلم والمعرفة، فهو الكتاب الذي لا تتقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد.

ومن المواضيع التي تناولها القرآن الكريم، موضوع "الحوار" الذي نحن بصدده في هذا البحث، فقد اعتنى القرآن الكريم بهذا الموضوع عناية فائقة، وأولاه اهتماماً خاصاً، وركّز على طبيعة الأسلوب الذي يجري به. كيف لا؟ والحوار أهم وسيلة للاتصال بين بني الإنسان وأكثر الوسائل قدرة على التأثير في الآخرين. فالقرآن الكريم الذي هو عنوان البلاغة وينبوعها قد استعمل هذا الأسلوب في كثير من آياته، لما فيه من التأثير الفائق الوصف. وجاء الإسلام ليكون دين الحوار، الذي يطلق المجال لإعمال العقل في القضايا المطروحة، ليحاور الآخرين على أساس الحجة والبرهان والدليل، وليعلمهم كيفية الوصول إلى الحقائق، عن طريق الكلمة الحلوة، والأسلوب الطيب، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن.

ويأتي هذا البحث كمحاولةٍ لإلقاء نظرة فاحصة على أسلوب الحوار في القرآن الكريم، بغرض فهم طبيعة هذا الأسلوب، لنحدّوْ حدوْ القرآن، ونقتبس لمساته الفنية في هذا المجال، لأنَّ معرفة أسلوب الحوار، أمرٌ في غاية الأهمية لكل داعية، في كل زمان وفي كل مكان.

وقد جاء هذا البحث بعد المقدمة في خمسة مباحث، وهي:

١. الحوار: مفهومه وعناصره.
٢. أهمية الحوار وخصائصه في القرآن الكريم.
٣. الجوانب الإنسانية التي يخاطبها الحوار القرآني.
٤. أساليب الحوار في القرآن الكريم.

٥. دراسة تطبيقية حول أسلوب الحوار في القرآن الكريم.
نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا علماً نافعاً، وأن يزيج عنا ظلام الجهل
بنور المعرفة، إنه هو العليم الحكيم.

المبحث الأول الحوار: مفهومه وعناصره

أولاً: مفهوم الحوار

١. الحوار في اللغة

يُطلق الحوار في اللغة على مراجعة الكلام. يقال: حاورته؛ أي راجعته
الكلام، وتحاور القوم أو الجماعة: راجعوا الكلام بينهم. قال ابن منظور:
"المحاور: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة" ^١. وقال الرازي: "المحاور:
المجاوبة، والتحاور: التجاوب" ^٢.

وأما المجادلة؛ فهي كما يفسرها اللغويون: "اللد في الخصومة والقدرة
عليها" ^٣.

ويتضح من خلال الرجوع إلى معاجم اللغة، أن اللغويين يفرقون بين
الحوار والجدل. فالجدل فيه طبيعة الخصومة والعناد والتعصب للرأي، أما الحوار
فهو مجرد مراجعة الكلام بين المتكلمين، ولا يُراد به بالضرورة الاتجاه إلى
الخصومة. ونستدل من ذلك على أن كلمة الحوار أوسع مدلولاً من كلمة الجدل،
باعتبار تضمن الكلمة الثانية معنى الصراع، بينما نجد الكلمة الأولى تتسع له
ولغيره، مما يراد منه إيضاح الفكرة بطريقة السؤال والجواب.

٢. الحوار في السياق القرآني

حتى نتضح لنا دلالة الحوار في الاصطلاح القرآني، لا بدّ من النظر في
مواضع ورود هذه المفردة في القرآن الكريم، ودلالاتها في السياق القرآني. فإذا
نظرنا في القرآن الكريم وجدنا أنه استعمل كلمة الحوار في ثلاثة مواضع، هي:
١. (فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً) ^٤.

٢. (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً) ^٥.
٣. (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما) ^٦.

وفيما يلي وقفة تحليلية مع المفردة في مواضعها الثلاثة:

يُلاحظ في الموضعين الأولين، أنّ هذه المفردة وردت في سورة الكهف، في حالة يبدو فيها التخاصم الشديد بين الأخوين صاحبيّ الجنّتين، حيث كان أحدهما مؤمناً سخيّاً، وكان الآخر كافراً شحيحاً. وعلى الرغم من أنّ الحالة هنا يمكن أن توصف بأنها حالة خصومة فعلية بينهما، إلا أنها من الناحية الاجتماعية؛ أي في الظاهر الواضح أمام الناس لا تمثل خصومة، وإنما تمثل اختلافاً بينهما في الدين والمنهج، "ولعلّ هذا مما جعل تعبير القرآن الكريم عن موقفهما، يأتي بلفظ التحاور، والنبئ عن مجرد المراجعة في الكلام، ولا يأتي بلفظ الجدل الذي يرتبط بالخصومة، أو اللدد في الخصومة، كما يقول اللغويون" ^٧. أما الموضع الثالث؛ الذي ورد فيه ذكر الحوار في القرآن الكريم، فيتضمن في سياقه التفريق بين الجدل والحوار "فحديث المرأة عن زوجها كان خصومة، ولذلك كان التعبير حينئذ بالمجادلة، ولكن حديثها مع النبي ٣ كان مراجعة في الكلام، ولذلك كان تعبيره بالمحاوره" ^٨.

ثانياً: أسس الحوار القرآني

حتى يتحول الحوار إلى عملية منتجة، وحتى لا يكون عملاً ضيقاً عقيماً في الشكل والمضمون، فلا بدّ له من مناخ يعيش فيه. وقد أراد الله للرسول في القرآن الكريم، أن يوجد القاعدة الأساسية لهذا المناخ، بالتخطيط العملي لتوفير الخصائص الضرورية لذلك، وفي مقدمتها، شخصية المحاور الذي يقود عملية الحوار ويتبناها، وشخصية الطرف الثاني للحوار، حيث الحالة النفسية التي تعيش مع الحوار في طريق المعرفة والإيمان، لا من طريق الجدل العقيم.

ويمكن الحديث هنا عن أهم هذه العناصر، في إطار التصور القرآني لها:

١. شخصية المحاور الذي يدير عملية الحوار:

فلا بدّ للشخص الذي يدير عملية الحوار أن يملك حرية الحركة الفكرية، التي يملك معها الثقة بشخصيته الفكرية المستقلة، فلا يكون واقعاً تحت رحمة الإرهاب الفكري والنفسي، الذي يشعر معه بالانسحاق أمام شخصية الآخر، نتيجة إحساسه في أعماقه بعظمة الآخر، فتتضاءل إزاء ذلك ثقته بنفسه، وبالتالي ثقته بفكره وبقابليته لأن يكون طرفاً لحوار، فيتجمد عند ذلك ويفقد قدرته على الحركة الفكرية، فيتحول إلى صدى للأفكار التي يتلقاها من الآخر.

وقد عمل الرسول الكريم ٣ - من خلال تعاليم القرآن الكريم - على توفير هذا الشرط للآخرين في تحاوره معهم، فقد كان دائماً يحاول التأكيد على جانب البشرية فيه؛ فهو بشر مثلهم، لا يملك أية قوة غير عادية في تكوينه الذاتي، إلا أن هناك وحي ينزل إليه من الله، وما دوره إلا دور الإنسان الذي يريد أن يبلغ ذلك الوحي للناس بكل وسيلة مقنعة، دون أن يملك أمر فرضه عليهم، لأنه لا يملك الطاقة السحرية التي تدفعهم إلى الإيمان إن لم يكونوا هم مقتنعين بصدق هذا الوحي^٩.

قال تعالى: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما ألهمكم إليه واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)^{١٠}.

٢. شخصية الطرف الآخر للحوار:

حتى يكتمل الحوار لا بد من وجود طرف آخر له، وعلى هذا الطرف أن يهيئ نفسه مسبقاً للقبول بالنتائج الصحيحة المترتبة على الحوار، لأن الوصول إلى الحقيقة هو غرض الحوار، وإلا أصبح الكلام مجرد جدل عقيم، لا يراد منه سوى عرض العضلات والمزايدات الجدلية، التي لا تقدّم أو تؤخّر في الموضوع، لأن صاحب الفكرة يكون قد أعدّ النتيجة مسبقاً في ذهنه؛ فلا مجال للتراجع عنها، حتى ولو لم تعتمد على الحجة والبرهان. وقد تعرّض القرآن الكريم لهذا الجانب حينما تحدث عن أولئك الذين لا يريدون أن يؤمنوا أو يقتنعوا، وذلك في قوله تعالى: (إن

الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم)^{١١}.

فهذه صورة حية لهؤلاء الذين يستمعون إلى الدعوة، وقلوبهم مغلقة، وعقولهم مقفلة، بحيث يستوي معهم الإنذار وعدمه، ليس ذلك عن حجة أو برهان، بل لمجرد الإنكار والعناد الذي يمليه عليهم كفرهم^{١٢}.

٣. خلق الأجواء الهادئة للتفكير المستقل:

حتى نصل بالحوار إلى هدفه ومبتغاه، لا بد من توفر الأجواء الهادئة للتفكير الذاتي الذي يمثل فيه الإنسان ذاته وفكره، والابتعاد عن الأجواء الانفعالية التي تعيق الإنسان عن الوقوف مع نفسه وقفة تأمل وتفكير، فإنه قد يخضع في قناعاته وأفكاره للجوّ الاجتماعي الذي تنطلق فيه الجماعة في أجواء انفعالية حماسية لتأييد فكرة معينة، أو رفض أخرى، فيستسلم الإنسان لها استسلاماً لاشعورياً، كنتيجة طبيعية لانصهاره بالجو العام وذوبانه فيه، الأمر الذي يجعله يفقد استقلاله الفكري وشخصيته المميزة، ويحيله ظلاً باهتاً للجماعة.

وقد صور لنا القرآن الكريم ذلك، فيما نقله لنا من أسلوب النبي محمد ﷺ في الحوار مع خصوم العقيدة عندما واجهوه بتهمة الجنون. وهذه التهمة قد تقود إلى التشنج والانفعال، ولكن القرآن الكريم دعا إلى التجرد عن هذا الجو الانفعالي. قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِثْلٍ خَفًّى وَقَدْ أَقْبَرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)^{١٣}. " فقد اعتبر القرآن الكريم اتهام النبي بالجنون، خاضعاً للجو الانفعالي الذي كان يسيطر على التجمع العدائي لخصومه آنذاك، مما جعلهم لا يملكون ما يستطيعون أن يزنوا به صحة القضايا وفسادها، بل ظلت أفكارهم صدىً لأفكار الآخرين، ولذلك دعاهم إلى الانفصال عن هذا الجو المحموم، بأن يتركوا مثني وفرادي، في موقف فكر وتأمل... ليصلوا إلى النتيجة الحاسمة بأسرع وقت، لأن طبيعة الفكر الهادئ الواعي الذي يواجهه شخصية النبي محمد ﷺ وأفكاره وتعاليم رسالته، سوف يضع القضية في موقعها

الطبيعي الذي يرفض هذه التهمة جملة وتفصيلاً^{١٤}.

٤. المعرفة بموضوع الحوار:

إن الجهل بموضوع الحوار وتفاصيله، قد يحولّه إلى أسلوب من أساليب الشتائم والمهاترات، التي يغطّي بها كل طرف ضعفه وعجزه عن الوقوف موقف المدافع القوي عن فكرته. بينما تجعل المعرفة كلاً منهما واعياً لما يطرح وما يستقبل من فكر، مما يجعله يعرف كيف يبدأ الحوار، وكيف يلج إليه، وكيف يخرج منه، بوضوح الرؤية، وهدوء الفكرة، وقوة الحجة، ووداعة الكلمة.

وقد أعطانا القرآن الكريم بعض النماذج البشرية التي وقفت ضد الرسالة والرسول، من دون أن يكون لها إحاطة ومعرفة فيما تخوض فيه، كما في قوله تعالى: (هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)^{١٥}.

قال النسفي: "يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى، وبيان حماقتكم وقلة عقولكم، أنكم جادلتم فيما لكم به علم، مما نطق به التوراة والإنجيل، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم، ولا ذكر له في كتابكم، من دين إبراهيم"^{١٦}.

٥. أسلوب الحوار:

هناك طريقتان للحوار الفكري: طريقة العنف التي تعتمد على مواجهة الخصم بأشد الكلمات والأساليب وأقصاها، وطريقة اللاعنّف أو الطريقة السلمية، التي تعتمد اللين والمحبة أساساً للصراع، انطلاقاً من القاعدة الإسلامية التي تعتبر موضوع الصراع، بمختلف مستوياته ومجالاته، وسيلة من وسائل الحركة المنفتحة للوصول إلى الهدف، وهو الإيمان بالحق والوقوف معه والعمل على حشد أكبر عدد ممكن من الناس للارتباط بالهدف والانسجام معه.

وقد ركز الإسلام على هذه الطريقة في كل أساليب الحوار والجدال من أجل الوصول إلى المعرفة من جهة، أو إلى الموقف الحق من جهة أخرى، وأطلق على ذلك كلمة التي هي أحسن؛ فهي الطابع الذي يطبع كل وسائل الحوار وأساليبه.

قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)^{١٧}.

وواضح من الآية أن الحسنة تعبّر عن الأسلوب السلمي، بينما تعبّر السيئة عن الأسلوب العنيف^{١٨}. ونلاحظ "أن القرآن الكريم حين يختار لنا أسلوب اللاعنف وطريقة اللين، يشير إلى النتائج العملية التي تجنيها الرسالة من خلال هذا الأسلوب، وهو تحويل الأعداء إلى أصدقاء، ينطلقون معك فيما تفكر فيه وفيما تعمل له. ثم يعقب على ذلك بالإيحاء بأن السير في هذا السبيل يحتاج إلى مزيد من الصبر وإلى حظ عظيم من الإيمان، لأن ذلك يخضع لقوة الأعصاب، ومرونة الشخصية في مواجهتها لتحديات الخصومة ومشاكل الصراع"^{١٩}.

وحتى تكون العملية الحوارية عملية ناجحة، فلا بد أن تتوفر فيها مجموعة من الشروط، وأهم الشروط التي وضعها العلماء لنجاح الحوار:

١. إخلاص النية:

وذلك بأن يُراد من الحوار وجه الله تعالى؛ أي إظهار الحق والوصول إليه، وهذه الرغبة يجب أن تكون موجودة عند طرفي الحوار، لا أن تكون الغاية مجرد الغلبة والظهور على الخصم حتى ولو كان الجدال بالباطل^{٢٠}. وفي ذلك يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "ما ناظرتُ أحداً إلا قلت: اللهم أجرِ الحق على قلبه ولسانه، فإن كان الحق معي اتَّبَعَنِي، وإن كان الحق معه اتَّبَعْتَهُ"^{٢١}.

٢. التكافؤ بين المتحاورين:

فلا بد أن يكون هناك تقارب بين المتحاورين في المستوى العلمي والثقافي، وفي العقل والفهم، وإلا فإن الغلبة ستكون للجاهل، وسيطمس الحق في هذا الحوار، ولا يظهر للمتحاورين ولا للحاضرين. وفي ذلك يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "ما ناظرت عالماً إلا غلبته، وما ناظرت جاهلاً إلا غلبني"^{٢٢}.

المبحث الثاني أهمية الحوار وخصائصه في القرآن الكريم

أولاً: أهمية الحوار:

مما تجدر الإشارة إليه هنا، أنّ صفة الحوار أو الجدل، صفة ملازمة للإنسان، بدليل قوله تعالى: (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً)^{٢٣}. فقد فطر الله الإنسان على مواجهة هذه الحياة بما فيها من أوضاع وأحداث، بعقلية منفتحة لا تستقر على حال، فتراه يفتش عن الشيء وضده، وعن الحق والباطل، ليجادل في هذا ويحاور في ذاك، فلا يتيقن إلا ليتلمل في رحلة جديدة نحو الشك، ولا يشك حتى يبدأ رحلته الطويلة نحو اليقين.

وهكذا تنتوع الأفكار والآراء في كل مرحلة من مراحل حياته، تبعاً للقضايا التي تُثار، والأوضاع العامة التي تفرض هذا الرأي أو ذاك، مما يجعل قضايا الفكر تنتمي وتخلّف وراءها العديد من الأتباع والأنصار. وفي ضوء ذلك كله ينشأ الجدل، ويتحول أسلوب من أساليب الإقناع تارة، والتبرير أخرى، أو التلاعب بالألفاظ مرة ثالثة. كل ذلك في محاولة لتحقيق الانتصار، أو مواجهة الهزيمة، في هذه المعركة الفكرية والعقائدية^{٢٤}.

أما الحوار في دلالاته الواقعية، ففيه محاولة من كلا الطرفين لأن يقنع أحدهما الآخر بمنطقه ورأيه. فالحوار إذاً مباراة أدواتها الكلام، ومن الواضح أنّ القرآن الكريم جعل الاهتمام بالكلام والمنطق في المكان البارز المرموق. فمما تجدر الإشارة إليه هنا أن أهمية الحوار تنبع من أهمية الكلام نفسه، الذي يُعدّ السلاح الذي يحمله كل نبيّ لتبليغ دعوته إلى الآخرين، إذ لا نزاع في أنّ مهمة الرسل هي أن يبلغوا دين الله للناس فينتزعوهم من الضلال والجهل إلى المعرفة الصحيحة لله أولاً، ثم يبينوا لهم الأسلوب الأمثل لتطبيق شرع الله، وهذا بطبيعة الحال يستلزم الحوار الدائم والمتواصل بينه وبين المرسل إليهم، هو يريد أن يقنعهم بدعوته، وهم يجادلونه للتمسك بتقاليدهم وموروثهم الحضاري. ومن هنا تبدو أهمية الكلام باعتباره السلاح الأساسي في هذه الحرب الإعلامية أو النفسية، وإذا كانت

سائر الأسلحة العسكرية والنفسية، يمكن لشيء منها أن يؤدي بعض الغرض الذي يؤديه السلاح الآخر، فإن الكلام هو السلاح الوحيد الذي لا يستغني عنه الداعية، ولا يجد شيئاً قط يحل محله، أو يغني عنه أيّ غناء^{٢٥}.

ولذلك فقد جعل موسى - عليه السلام - قضية الكلام مطلباً أولاً يدعو ربه أن يحققه له: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي)^{٢٦}. بل نلاحظ أنه حينما تحدث عن الكلام ربط به جوهر رسالته كلها في فهم الناس عنه (يَفْقَهُوا قَوْلِي)، لأنهم إذا لم يفقهوا قوله فقد انفصمت الرابطة بينه وبينهم، لانعدام وسيلة الاتصال والتفاهم.

فموسى - عليه السلام - لم يطلب من الله قوة أو سلاحاً ليخوض معركته المقبلة، وإنما طلب لساناً كاملاً البيان، ولم يكن لسانه كذلك، فطلب الاستعانة بأخيه الفصيح الطلق اللسان (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي)^{٢٧}. وطلاقة اللسان وحسن العرض والصياغة البليغة، التي أعلن موسى عليه السلام أنه بحاجة إليها هي ذاتها الأدوات التي يحتاجها كل داعية إلى الله في كل زمان ومكان^{٢٨}.

وقد أشار القرطبي إلى أهمية الحوار باعتباره وسيلة للتفريق بين الحق والباطل عن طريق استخدام الحجج والبراهين، وإفحام الخصم. فقال في تفسير الآيات التي تتحدث عن المحاجة والمجادلة: " ذلك من الآي فهو كله تعليم من الله عز وجل السؤال والحوار والمجادلة في الدين، لأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ورفض حجة الباطل"^{٢٩}.

ومما يدل على اهتمام القرآن بالحوار، وحرصه على الأسلوب الذي يؤدي به، أن القرآن الكريم لم يقصّر عملية الحوار على مجابهة الأعداء والتصدي للمخالفين، وإنما جعلها في كثير من المواضع نماذج للتربية والتعليم والتوجيه، كالحوار بين إبراهيم وابنه إسماعيل، وبين موسى وأخيه هارون، وبين موسى وأستاذه الخضر، وبين مريم وابنها الرضيع. وليس غريباً أن يعطي القرآن الكريم الحوار كل هذه

الأهمية، فإن الحوار بالحجة هو الطريق الأمثل، بل الوحيد، للإقناع العقلي، والإقناع أساس الإيمان إن لم يكن الإيمان نفسه. وأي دين أو مذهب لا بد لاعتناقه من اقتناع، وإذا فالحوار له هذه الأهمية في الدعوة إلى أي دين أو مذهب.^{٣٠}

ثانياً: خصائص الحوار القرآني:

بالنظر في أسلوب الحوار في القرآن الكريم، يتبين أنه امتاز بعدة خصائص، فيما يلي أهمها:

يلي أهمها:

١. التنوع:

يُلاحظ أنّ الحوار في القرآن الكريم لم يقتصر على نوع معين كالعقيدة أو الدين عامة، بل شمل كل أوجه الحياة الدينية كان أو اجتماعية أو سياسية أو غير ذلك. ومعنى ذلك "أن المحاور لم تأت في القرآن الكريم عرضاً ولم يستدعها سياق أو غرض معين، وإنما هي غرض أساسي من أغراض القرآن، وأسلوب محدد من أساليبه، التي يهدف بها إلى تحقيق أغراضه الشاملة، لكل جوانب الإصلاح العامة، سواء أكانت فردية أم جماعية"^{٣١}.

٢. الاعتماد على العقل:

إننا معشر المسلمين نتبع ديناً يقوم على العقل والعدل، ولا يعرف سياسة العصا في نشر الحقيقة، ونحن عندما نتحدث مع الآخرين يجب أن نتبع سياسة القرآن العقلانية، فنحرر القضايا، ونضبط المفاهيم، ونزن الحجج وننصف الخصوم من أنفسنا وأنفسهم، وتقليد الآباء ليس من الأدلة، والانسحاق مع العرف الشائع ليس من الأدلة. إن الله جعل العقل قسمة بين الناس، وركز في فطرتهم احترامه^{٣٢}.

والاعتماد على العقل اتجاه واضح في كل أساليب الحوار في القرآن الكريم، وطبيعة هذا الاعتماد أن الأسلوب يتجه إلى إبراز الحجة والمنطق العقلي، ويتابع التسلسل المنطقي مهما بلغ من صور الافتراضات التي تتنافى مع أسس القرآن. حتى إننا نجد الله سبحانه وتعالى ذاته يوجّه نبيه في حوارهِ مع المشركين إلى أن يفترض لهم أن هناك آلهة أخرى مع الله ثم يحاورهم كيف تكون النتيجة:

(قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَّغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) ^{٣٣}، كما يقول سبحانه: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) ^{٣٤} وهكذا نجد أسلوب الحوار في القرآن يعتمد على العقل المجرد من التأثير بأي عامل أو مؤثر خارج المحاور، وهو أقصى ما يمكن أن يطلبه أو ينظره مفكر يدعي الحرية في فكره، أو باحث يدعي التجرد من التعصب والانحياز.

وإذا نظرنا في الأسلوب الحوارى لإبراهيم عليه السلام مع قومه، لوجدنا أنه يمثل غاية التجرد، فقد افترض في حوارهم أنه يعبد كوكباً مثلهم (فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي) ^{٣٥}. وهذا مثال واضح على اعتماد أسلوب الحوار القرآني على العقل، وهذا دليل على تمجيد الإسلام للعقل ^{٣٦}.

٣. إنصاف الخصم:

ويُلاحظ أن أوضح النواحي التي راعى منهج القرآن أنها من حق الخصم ما يأتي:

أ. التجرد من المؤثرات والاحتكام إلى حكم يرتضيه الطرفان: فيتجرد كل من الخصمين أثناء المحاور من عقيدته افتراضاً، ومن انتمائه إلى أي شيء يؤثر عليه فيما يتعلق بموضوع المحاور، كما افترض إبراهيم عليه السلام أنه مشرك مثلهم، يعبد كوكباً كما يعبدون. أما الحكم بين الطرفين فلا يُتصور أن يكون هناك قاضياً مقبولا من الطرفين، لأنه إما مؤمن وإما كافر، وليس بينهما وسط، وفي كلا الحالين فهو منحاز لأحد الطرفين. ولذلك لم يكن هناك حكم في خصومات الدين إلا العقل، لأنه قدر متفق عليه وعلى حقائقه بين الناس جميعاً ^{٣٧}.

ب. حماية الخصم أثناء المحاور: فمهما كان الخصم المحاور ضعيفاً في رأيه، إلا أننا نجده في الحوار القرآني محمياً من الأذى والتحقير والتسفيه. فنجد الخصم في محاورات الدين في القرآن مصوناً من الأذى حتى يصدر عليه الحكم. مثال ذلك هذا الذي يحاور في الله مدعي إنكار مقدرة الله على إحياء الموتى، فيوجه الله نبيه إلى محاورته في غير إيذاء، بل فيما يشبه عتاب الودّ والتقريب: (وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا

وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ^{٣٨}.

ج. إعلان المساواة للخصم: وهذه درجة أعلى من حماية الخصم وعدم إيذائه، وهي أقصى ما يمكن منحه من عدالة للخصم، حين يشعر الخصم أنه مساوٍ لخصمه، وأن خصمه هو الذي يشعره بذلك، رغم أن كل الملابسات توحى بغير هذه المساواة. ومثال ذلك أنه مع اليقين بأن النبي عليه الصلاة والسلام على حق، وأن مجادلته على الباطل، إلا أن الله يوجهه إلى افتراض التجرد من ذلك، وإشعارهم بالمساواة معه في صورة افتراض أنه لا يعلم أيهما على الهدى، وأيهما في الضلال، هو أم هم؟ (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)^{٣٩} بل نجد إنصاف الخصم في محاورات القرآن يصل إلى حد إشعار الخصم كأنه المتفوق كما في قوله تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ. قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ)^{٤٠}. فأعلن لخصومه حق المساواة الجدلية في افتراض أن كلا الطرفين يمكن أن يكون على حق، وأن يكون على باطل (لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ثم زاد على هذه المساواة أن افتراض صدق الخصوم، وصحة رأيهم، ورأي الخصوم أن عملهم وموقعهم من الدين صحيح، أما عمل المؤمنين وموقفهم فباطل وإجرام، فالقرآن يسلم لهم جدلاً أو افتراضاً أن المشركين على حق، وأن المؤمنين مجرمون ويعلن إليهم هذا على لسان الرسول: (قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)^{٤١}.

٤. تحديد الغاية وتوضيحها:

يهتم الحوار القرآني بإبراز الهدف الذي تدور حوله العملية الحوارية، مع التركيز على ضرورة أن يكون هذا الهدف واضحاً ومحددًا ومقبولاً من النفوس والمشاعر بعد اجتيازه مرحلة القبول العقلي. ذلك أن هدف الإسلام الأساسي هو

"وصول الناس إلى الحق، بالطريقة التي تعمق الإيمان في نفوسهم وتشرح به صدورهم، ولذا فإن وسائله العملية تتجه إلى هذا الهدف فحسب"^{٤٢}.
ويظهر لنا أن القرآن الكريم يرفض الجدل على أساس كونه فناً قائماً بذاته، يتحول محترفه إلى شخص جدلي، لا همّ له في المجال الفكري إلا أن يتغلب على خصمه، أو يلف ويدور لإشغال الفراغ بمجادلات تضيع الوقت وتبتعد عن الهدف، لأن ذلك يساهم في تشويه الكيان الفكري للإنسان، بما يثيره في طريقة تفكيره من الابتعاد عن القضايا البديهية في الحياة، ليبقى مشدوداً إلى الافتراضات البعيدة التي تغذي الجدل وتحجب عن الإنسان رؤية الواقع.

٥. الرفق بالمهزوم:

الملحوظ في محاورات القرآن هو تركيزها على إبراز النتيجة وإعلانها لأنها محور الخصومة. وإعلانها في صورة الإعلام والنشر الذي يستهدف أن يكون في أوسع نطاق ممكن هو هدف مقصود للقرآن، وهو نشر الدين نفسه، فإن نتائج محاورات القرآن هي الدين نفسه. أما الخصم ذاته، فنحس أن الحوار القرآني لا يهدف إلى النيل منه أو إيذائه حتى بعد إعلان خطئه وسوء موقفه في المحاوره. وقد يلتبس لذلك أكثر من سبب، فمن ذلك أن القرآن لا يُعني كثيراً بالأشخاص كثروا أو قلّوا، إلا بمقدار اعتراضهم طريق نشر الدين، أما أشخاص ذاتها، أو خصومتهم نفسها، فالقرآن أكبر من أن يوليها اهتماماً شديداً، لذلك نجد مهاجمة القرآن للأشخاص يتضح فيها التركيز على اعتراضهم طريق الدين، ولو كان هذا التركيز بطريق غير مباشر. وقد يكون من هذه الأسباب أن القرآن ليس إلا داعياً إلا الله، فهو يريد أن يجذب كل الناس إليه، بما فيهم هؤلاء الخصوم، وإيذاؤهم قد يزيدهم بعداً عنه بينما هو يريد أن يقربهم إليه"^{٤٣}.

ومن أمثلة ذلك حوار إبراهيم مع المشركين من عبدة الكواكب، وتدرّجه العقلي والنفسي في أسلوب حوار فريد: (فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ)^{٤٤} ولما كان قد أقنعهم بأن الإله لا يغيب، فقد استطاع أن يتملص من قضية

ألوهية الشمس لأنها تغيب: (فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)^{٤٥}.
ولو أمعنا النظر في هذه الصورة الحوارية، لوجدنا أن إبراهيم عليه السلام قد راعى عدة أمور وأهمها:

١. المحافظة على صلته بالخصوم، وتقريبهم إليه أملاً في كسب إيمانهم "يا قوم".
 ٢. إعلان الحكم على عبادتهم للكواكب بأنها شرك "مما تشركون".
 ٣. استنكار هذا الشرك والبراءة منه "إني برئ مما تشركون".
 ٤. بيان البديل الصحيح الذي عليهم أن يتجهوا إليه، وهو الإيمان "إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض".
 ٥. بين لهم قدراً كافياً من مزايا الإله الواحد الذي يدعوهم إليه، فهو الذي "فطر السماوات والأرض".
 ٦. بيّن لهم المفاصلة في قضية الشرك بالله "وما أنا من المشركين".^{٤٦}
٦. تحديد الهجوم:

يجب أن لا يفهم من كلامنا السابق أن الحوار كله رفق، لأن الرفق أحياناً يكون عيباً إذا كان في غير محله. ولكن القوي حقاً هو من يملك الحكمة في معالجة خصمه، وخاصة في الحوار الذي يقوم على أساس الدعوة لدين الله. ولكن ذلك يجب أن لا يجعلنا نغفل جانب القوة. فلا بد أن يحس الطرف الآخر أن محاوره قوي، لما لذلك من أثر نفسي على الخصم. وفي كثير من الأحيان نحن بحاجة إلى أن نجتمع بين الأمرين في الحوار، بين الرفق والقوة، كما نجد ذلك ماثلاً في أسلوب القرآن الكريم. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)^{٤٧} فالله يقدم رحمته الواسعة ولكنه مع ذلك يلوّح لهم بالقوة التي يرضخ لها من لا تجدي معه الرحمة الواسعة^{٤٨}.

المبحث الثالث

الجوانب الإنسانية التي يخاطبها الحوار القرآني

يُعدّ الحوار أسلوباً من أساليب البيان العربي، لذلك جاءت المحاورات القرآنية مجسدة في صور بيانية غاية في الإتقان. فمن إعجاز القرآن أنه لا يعتمد على المعاني المجردة لضعف تأثيرها، وإنما يعتمد على تجسيد المعاني في قوالب أو صور محسوسة لإثارة انتباه السامع بصورة أشد، ولترسيخ المعنى وتثبيتته في النفوس، ولذلك نجد القرآن يعرض العديد من الأساليب البيانية ليصبّ فيها المعاني العادية. ومثال ذلك: الإيمان بالله، فالقرآن يدعو إلى ذلك بصورة مجردة فيقول: (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)^٩ ولكن القرآن لا يكتفي بذلك فإن من طبيعة النفوس ألا تقف طويلاً مع المعاني المجردة، لأن تأثيرها غير شديد، فقد يُطلب من المرء أمر فلا يستجيب له، ثم يُطلب منه الأمر نفسه بأسلوب آخر فإذا هو يستجيب، لأن الأسلوب الآخر يحمل إثارة للمشاعر، إما عن طريق الترغيب أو التهيب أو التخويف والوعيد ونحو ذلك^{١٠}.

فإن الأكثرية من الناس لا تؤثر فيهم المعرفة وإنما تؤثر فيهم عوامل أخرى، ولذلك كان من حكمة الله أن تمثلت أساليب القرآن في كل هذه العوامل والمؤثرات، لتطبق على الإنسان من كل زواياه لعلها تستطيع أن تقوده إلى الله.

ومن استخدام هذه المؤثرات ما نجده في الكثير من آيات كتاب الله، ومنها:

١. قوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)^{١١}.

٢. قوله تعالى على لسان نوح: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا. مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا)^{١٢}.

٣. قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ^{٥٣}.

فإذا كان القرآن الكريم بصورة عامة يحرص في أسلوبه على مخاطبة جانب من جوانب التأثير في الإنسان لجذبه إلى دعوة الله، فما هو الجانب الذي يخاطبه أسلوب الحوار؟.

يتبين من خلال النظر في كتاب الله سبحانه وتعالى أن أسلوب الحوار يخاطب في الإنسان أكثر من جانب، وفيما يلي أهم هذه الجوانب:
أولاً: مخاطبة الجانب العقلي في الإنسان:

"إن العقل في نظر الإسلام هو المدرك وهو المميز، وهو الوسيلة إلى فهم العالم والوجود، وله أن يستعمل كل الوسائل المتيسرة، سواء التأملية المجردة أو التجريبية الحسية، ليصل إلى إدراك الحقيقة والانتفاع بها"^{٥٤}.

ونظراً للعناية التي أولاهها القرآن الكريم للعقل، فقد حرص الحوار القرآني على مخاطبة الجانب العقلي في الإنسان، وذلك من جهتين:

الأولى: عرض الحقيقة نفسها وهو موضوع الحوار، وهذا قد يتساوى فيه أسلوب الحوار مع باقي الأساليب، لأن لكل أسلوب موضوعاً أو فكرة وعندئذ يتاح لعقل السامع أن يفكر بهذه الحقيقة بعقله.

الثانية: المباراة بين المتحاورين والصراع العقلي الذي يدور بينهما. وكل ذلك يستدعي من السامع أن يشحذ عقله وذهنه ليتابع هذه المباراة، إما متقمصاً شخصية الحكم، وحينئذ يشحذ عقله لإيجاد الحكم، وإما منحازاً إلى أحد الطرفين، وحينئذ يجهد عقله للبحث عن حجج يدعم بها موقف المنحاز له، وإما مجرد مشاهد لهذه المباراة. وفي كل هذه الأحوال نجد السامع قد أيقظ عقله ونشطه للتفكير في موضوع المحاور، وفي الصراع الذي يدور حول هذا الموضوع، واستخدام العقل عامة -فضلاً عن شحذه- من أهم أهداف القرآن في كل أساليبه^{٥٥}.

ثانياً: مخاطبة الجانب الغريزي:

فالحوار في القرآن يخاطب غريزة مهمة، من أسمى غرائز الإنسان، لقربها

من العقل، ولصوقها بالمعرفة، وهي غريزة حب الاستطلاع. فأما لصوقها بالمعرفة، فلأن كل ما يستطلع الإنسان، ويقف على حقيقته فهو إضافة جديدة إلى معارفه، مهما صغرت هذه الإضافة، وأما مخاطبة أسلوب المحاورة لحب الاستطلاع في الإنسان، فمن ناحية اشتمال المحاورة على طابع القصة في أقوى حالات إثارتها، وهي حالة تصارع قوتين، فإن هذا الجانب يكون غالباً أقوى جوانب القصة إثارة لحب الاستطلاع، ومتابعة ما ينتهي إليه صراع هاتين القوتين، وإذا كانت هناك لفتات جانبية في هذه الملحوظة، فمن هذه اللفتات أن المتابع لصراع قوتين في أية قصة، يكون غالباً منحازاً بعواطفه ومشاعره من حيث لا يقصد مع القوة الأساسية في القصة أو مع الجانب الأقوى فيها، وهو ما يعبر عنه في اصطلاح القصة ببطل القصة، فالمتابع للقصة يكون غالباً منحازاً لموقف البطل بمشاعره وعواطفه، وإن كان مخالفاً له بعقله ومنطقه، وهذا جانب له مراعاة غير هينة في أسلوب محاورات القرآن، فإن المؤمن أو المصلح بصفة عامة، هو دائماً بطل المحاورة؛ أي القوة الأساسية فيها، وحينئذ يسري عليها الحكم أو الوضع العام، وهو أن موقف (بطل) المحاورة، الممثل للدين، سيكسب عواطف السامعين ومشاعرهم أو شيئاً من هذه العواطف، وإن كانوا مخالفين له في الدين، وهو كسب غير يسيّر؛ فإن الدين لا يقوم على العقل وحده؛ أي أن العقل ليس هو الدافع الوحيد للدين، بل المشاعر والعواطف عنصرٌ أساسي في الاتجاه إلى الدين، وهو معنى غير غريب ولا جديد، فالحق قد يكون واضحاً في عقول جماعة من الناس كلها، ولكن بعضاً منهم هم الذين يلقي الله في قلوبهم مشاعر السكينة ويقظة الوجدان، فهم الذين يتجهون إلى الله. وفي كل حال فإن أسلوب المحاورة يقرع غريزة من غرائز الإنسان، مثيراً بها جوانب من شأنها أن تُسَنِّم في جذب السامعين إلى الله^{٥٦}.

ثالثاً: مخاطبة الجانب العاطفي:

وهو جانب المشاعر والانفعالات، فإن أسلوب المحاورة من شأنه أن يثير مشاعر الإنسان وانفعالاته، ومع صرف النظر عن أن محاورات القرآن، تشتمل على

كثير من الأحداث التي تثير مشاعر السامع وانفعاله، كمحاورات موسى مع فرعون الطاغية، وما يثور في نفس السامع لهذه المحاورات لأول مرة من خوف على موسى أو توقع لما يصدر من فرعون، وكذلك محاورات السحرة مع موسى وتصميمهم على هزيمته، وشعور موسى بالخوف من مقدرتهم العجيبة في السحر، وما يثيره هذا في نفس السامع للمحاورة لأول مرة، وكذلك محاورة هؤلاء السحرة بعد أن آمنوا، حين صبّ عليهم فرعون في حوارهِ كل رهبة ووعيد، وصمودهم المستبسل في سبيل الله، مع ضعفهم بجوار قوة فرعون، وما يثيره كل هذا في نفس من يسمع هذه المحاورات أول مرة، وكذلك محاورات إبراهيم مع قومه وما تثيره من انفعالات شتى في نفس سامعها لأول مرة. كانفعال الطرافة والمرح، حين يشعر السامع أن إبراهيم قد استطاع التغرير بهم حين زعم لهم أنه يعبد معهم هذه الكواكب، وكلما رأى كوكبا منها يقول لهم: (هذا ربي)^{٥٧}. وكانفعال الإعجاب والاستطراف معاً حين يرى هذا الفتى الوحيد يجرؤ على تحطيم أعظم ما يملك قومه في نظرهم، وهم الآلهة، ثم ما يصنع هذا المنظر الطريف حين يترك كبير هؤلاء الآلهة، بعد أن يعلق المعول في كاهله، لحاجة في نفس إبراهيم. وكانفعال الخوف الذي يثور في نفس السامع لأول مرة حين يسمع أن قوم إبراهيم قد أوقدوا ناراً هائلة. وجاءوا به ليلقوه فيها. ثم انفعال التعجب، حين يسمع أن إبراهيم قد ألقى في هذه النار الهائلة، وإذا هو يخرج منها حياً معافى.

وكذلك محاورة إبراهيم مع ابنه الذبيح، وما تثيره من انفعال الرحمة والإشفاق البالغين، حين يسمع سامع المحاورات لأول مرة أن أباً سيذبح ابنه بسكين، وابنه مستسلم يقول له: (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ)^{٥٨}.

ومع صرف النظر عن اشتغال المحاورات على أحداث تثير الانفعال والمشاعر، فإن المحاورات من حيث هي وباعتبارها على أدنى الفروض مباراة وتنافساً بين طرفين، فإن هذا التباري من شأنه أن يثر لذاته انفعال المشاهدين للمباراة،

والسامعين لحكاية هذه المباراة، وهذا شيء في طبيعة النفس أن يثيرهم ويشد انتباههم الصراع بين قوتين. وهذه حقيقة لا يكاد يناع فيها أحد، فالصراع يثير مشاعر المشاهدين أو السامعين، ولذلك عمد الناس في كل أزمانهم وبيئاتهم إلى اختلاق صنوف شتى من الصراع. سواء أكان صراعاً قتالياً، كمبارزات السيوف المعروفة من أقدم الأزمان، أم صراعاً رياضياً، كمبارزات الرياضة الجسدية المعروفة أيضاً من قديم، والتي تقنن الناس فيها حتى صنعوا التبارز بين كل أعضاء الجسم، كمباريات الكرة، والملاكمة، والمصارعة، وغيرها. بل بلغ من ولع الناس بالتباري والانفعال له، أن درّبوا كثيراً من صنوف الحيوان حتى الديكة ليقيموا بينها مباريات يمتعون مشاعرهم وانفعالاتهم بها، ومن هذا القبيل أيضاً ولع الناس في كل العصور بالمباريات الكلامية، كمبارزات الشعراء في الهجاء، حتى إنهم كانوا إذا لم يجدوا خصومة أدبية يمتعون بها انفعالهم اختلقوا خصومة وهمية، كالمناظرات الأدبية التي كانت تعقد بين الأدباء، على أسنة الحيوانات أنفسها، أيها أنفع الجمل مثلاً أم الفرس، أو بين الجماد، كالمناظرات بين السيف والقلم، وهكذا. إذا فالتصارع والتباري، يثير مشاعر الناس وانفعالاتهم، ولا شك أن المحاورة نوع من التباري بين خصمين، أو طرفين، وحينئذ يبدو لنا جانب من حكمة أسلوب المحاورة، وهو كسب انفعال السامعين ومشاعرهم، ليكون هذا جانباً من جوانب جذبهم إلى الله^{٥٩}.

المبحث الرابع أساليب الحوار في القرآن الكريم

إذا نظرنا في كتب الفلاسفة والجدليين، وجدنا أن الجدل أو الحوار لديهم يسير على نظام منطقي جاف، لا يفهمه إلا أهل هذا الفن، فيذكرون المقدمات على نظام خاص، ثم تتبعها النتائج وليس الأمر كذلك في القرآن الكريم، فإن القرآن لم ينزل لهداية طائفة خاصة لها ثقافتها الخاصة، بل نزل لهداية الناس جميعاً، وجاء على ذلك بأدلة تلقى في النفس الإقناع، وتملاً القلب باليقين سواء كان ذلك بالنسبة للخاصة أو للعامة.

أما أهم أساليب الحوار التي استخدمها القرآن فهي: ^{٦٠}

١. القول بالموجب:

وهو رد كلام الخصم من فحوى كلامه ^{٦١} وهو قسمان:

الأول: أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم، فتثبتها لغير ذلك الشيء. كقوله تعالى: (يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ^{٦٢} فالأعز وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم، والأذل عن فريق المؤمنين، وأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة، فأثبت الله في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم، وهو الله ورسوله والمؤمنون. فكأنه قيل: صحيح ذلك ليخرجن الأعز منها الأذل، لكن هم الأذل المخرج، والله ورسوله الأعز المخرج.

الثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده. كقوله تعالى: (وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ^{٦٣}، يريدون بذلك اتهام الرسول ٣ بأنه سماع لكل شيء مصدق لكل قول، ولكن الآية لم تترك الأذن مطلقة، بل نسبتها إلى الخير ولهذا كان تمام الآية " يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم " أي أنه يصدق بالله، ويسلم للمؤمنين لا لكم؛ لعدم تصديقه إياكم، ثم هو مع ذلك رحمة للذين أظهروا الإيمان منكم حيث قبلهم ولم يكشف حقيقتهم.

٢. الانتقال:

وذلك بأن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان آخذاً فيه لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الاستدلال الأول ^{٦٤}. كما في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ

الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ^{٦٥} فَإِنَّ الْمَلِكَ الَّذِي جَادَلَهُ إِبْرَاهِيمَ، فهِمَ مِنَ الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ قُدْرَتَهُ عَلَى إِبْقَاءِ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْقَتْلَ وَحُكْمَهُ عَلَى الْحَيِّ بِالمَوْتِ، فَلَمْ يُرِدْ إِبْرَاهِيمَ مَنَاقَشَتَهُ، لَكِي يَبِينَ لَهُ الْمَرَادُ بِالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ بَلْ انْتَقَلَ إِلَى اسْتِدْلَالٍ لَا يَجِدُ الْمَلِكَ لَهُ وَجْهًا يَتَخَلَّصُ بِهِ مِنْهُ، فَقَالَ: (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ) وَهَذَا بَهْتُ الْمَلِكِ، وَلَمْ يُمْكِنَ أَنْ يَقُولَ: أَنَا الْآتِي بِهَا مِنَ الْمَشْرِقِ لِأَنَّ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ يَكْذِبُهُ^{٦٦}.

٣. مجازاة الخصم

وذلك بتسليم بعض مقدماته، للإشارة إلى أن هذه المقدمات لا تنتج ما يريد أن يستنتجها، وذلك كقوله تعالى: (قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)^{٦٧}، فليس المراد أنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم، بل كأنهم قالوا: ما ادعيت من كوننا بشراً حق لا سبيل إلى إنكاره، ولكن هذا لا ينافي أن يمين الله علينا بالرسالة. وقد أثبت القرآن في موضع آخر أن الرسول لا يكون إلا بشراً: (وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ. وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ)^{٦٨}. وفي هذا الأسلوب من الحوار استدراج للخصم، واستجلاب لإصغائه وربما كان من الممكن بهذه الوسيلة ثنيه عن الإنكار^{٦٩}.

٤. الإسجال:

وهو أن يثبت على لسان الخصم حقيقة كان ينكرها، كما في قوله تعالى: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)^{٧٠}. وفي مثل هذا اللون من التسجيل إثارة لوجدان المتشككين والمنكرين، وإثارة الخوف في أنفسهم، حين يسمعون اعتراف من على شاكلتهم، ويدخلهم الخوف فعساهم يهتدون^{٧١}.

٥. التسليم:

وهو أن يسلم بوقوع المحال تسليماً جدلياً، لبيان ما يترتب على ذلك من أمور محالة، وقد يبدأ الكلام حينئذ بحرف امتناع، ليدل على أنه ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، كما في قوله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)^{٧٢}. وحينئذ ينفي صراحة ثم يسلم وقوعه تسليماً جدلياً، لا يلبث أن يحكم الواقع بانتفائه، كما في قوله تعالى: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ)^{٧٣} فالمعنى ليس مع الله من إله، ولو سلم أن معه إلهاً، لزم من ذلك ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق، وعلو بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر، ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض وجود إلهين محال لما يترتب عليه من المحال، وفي هذا اللون من الجدل تقليب للأمر على جميع وجوهه؛ ليكون الحكم المراد سليماً لا شك فيه^{٧٤}.

٦. التقسيم والسبر:

وذلك بأن يقسم ما هو محل الجدل إلى منتهى أقسامه، ويسبر كل قسم بأن ينفي عنه ما يريد الخصم إثباته له^{٧٥}، كقوله سبحانه يرد على المشركين تحريمهم ذكور الأنعام تارة وإنائها أخرى: (وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)^{٧٦}.

رد الله عليهم تحريمهم بطريق السبر والتقسيم، فبين أنه قد خلق من كل زوج مما ذكر، ذكراً وأنثى فما علة تحريم ما حرمتهم؟ لا يخلو أن يكون ذلك من

جهة الذكور أو الأنوثة أو إليهما معاً، أو لا يُدرى له من علة؛ بأن يكون تعبدياً أخذ عن الله تعالى، والأخذ عنه سبحانه إما بوحى وإرسال رسول، أو سماع كلامه وتلقي ذلك عنه، وهو معنى قوله تعالى: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا)، تلك هي وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها، ويلزم على الأول أن يكون جميع الذكور حراماً، وعلى الثاني أن يكون جميع الإناث حراماً، وعلى الثالث تحريم الصنفين معاً، وهم يحرمون البعض في حالة، والبعض في حالة أخرى، ولم يأتهم رسول قبل محمد ﷺ يحرم عليهم ما حرموه، ولم يدعوا الأخذ عن الله بلا واسطة، وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى وهو أن ما قالوه ضلال وكذب على الله. ومثل هذا التقسيم والسبر لا يدع مجالاً للشك، وتستريح النفس إلى ما تصل إليه من نتائج عن طريقه.^{٧٧}

وذكر الدكتور محمد كمال المويل في مقدمة كتابه^{٧٨}: ثلاثة أساليب أخرى

للحوار، وهي:

١. طلب الإثبات: أي طلب الحجة والبرهان والسلطان والعلم الذي يفيد اليقين في الادعاء. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)^{٧٩}.
٢. نقض الفرض: أي البرهان على خلاف الادعاء بعد الافتراض أنه صحيح، ولذلك يُسمى نقض الخلف، ويُسمى دليل التمانع، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)^{٨٠}.
٣. البيان: أي تقرير قول صحيح بالرد على قول خاطئ، وهذا الأسلوب لا يعتمد على طلب الإثبات ولا على نقض الفرض، وإنما يقوم على تبين خطأ الادعاء بإبراز العلم الصحيح رداً عليه. ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى: (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)^{٨١}.

المبحث الخامس

دراسة تطبيقية حول أسلوب الحوار في القرآن

حتى تتضح الفكرة لدينا من خلال هذا البحث، لا بد من عرض نماذج مباشرة من خلال القرآن الكريم، ظهر فيها الحوار بشكل واضح. والناظر في كتاب الله سبحانه وتعالى يجد الكثير من هذه النماذج، فمنها: الحوار الذي يدور بين المؤمنين والكافرين، وبين الأنبياء وأقوامهم، وبين الله والملائكة، أو الله وإبليس، وبين المتفائلين والمتشائمين ونحو ذلك من الصور الكثيرة الماثلة بين دفتي هذا الكتاب المعجز. ونقتصر فيما يلي على عرض بعض هذه النماذج، بغرض تجلية الفكرة وتوضيحها:

١. حوار في قضية التوحيد:

جاء القرآن ينكر على المشركين ما هم فيه من عبادة الأصنام، وفكرة تعدد الآلهة، وأن يكون هناك صلة بين الخالق الحقيقي المخصوص بالعبادة، وبين هذه الأصنام التي يتقربون بها - في زعمهم - إلى الله. كما حكى عنهم القرآن: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ^{٨٢}.

وكانت هذه هي القضية الأولى التي يواجهها الإسلام، ولقد قطع القرآن في مكة شوطاً كبيراً في محاربة هذا الضلال. لافتاً الأنظار إلى الحقيقة، ممثلاً وواعظاً، مجادلاً ومحاوراً، منذراً ومبشراً، مناقشاً وهادياً.

وكان القوم يبررون ما هم عليه بحجج واهية، تتلخص في:

١. التقليد الأعمى لما وجدوا عليه آباءهم .

٢. أن هذه الآلهة وسيلة للتقرب إلى الله.

٣. أن فكرة وحدة الخالق أمر مستحدث .

وإذا ألقينا نظرة على طبيعة الحوار الذي دار في هذا المجال، وجدنا أن القرآن الكريم حكى طرفاً من شبهاتهم لأول مرة في سورة (ص) المكية. وذلك في قوله تعالى: (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ. وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ. مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ

هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ. أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ^{٨٣}.

فكرة التوحيد عند هؤلاء القوم فكرة عجيبة، صاحبها مختلق لها، لأن الرواية لم تنقلها لهم. إنها المؤامرة.. فليثبتوا على آلهتهم، هذا تصورهم للموضوع. والملة الآخرة التي اتخذوها سنداً هي ملة عيسى عليه السلام. لأن النصارى حرفوها فصاروا مثلثين لا موحدين، أو هي ملة قريش وما كنت عليه من عبادة الأصنام^{٨٤}.

وكان موقف القرآن من هذه الدعاوى هو موقف المنكر المبطل لما يدعون. قال: (بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب. أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب. أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرثقوا في الأسباب. جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب. كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد. وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب. إن كلُّ إلا كذب الرسل فحق عقاب)^{٨٥}.

وفي هذا الرد يبدأ القرآن بحقيقة هامة. ثم يمضي في الإنكار والتوبيخ لهؤلاء المعاندين فيبين أولاً أنهم في شك من ذكر الله. وأن هذا الشك سيزول إذا ذاقوا العذاب. ثم يأخذ في توبيخهم فيقول: أهؤلاء يملكون خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب فيصيبوا من يشاءون ويصرفوها عن يشاءون؟، ويتخيروا النبوة لبعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد عليه الصلاة والسلام؟ لا.. هم لا يملكون ذلك. إذاً فليس لهم من الأمر من شيء فليخسأوا.

أم لهؤلاء ملك السماوات والأرض وما بينهما؟، إن كان لهم فليرثقوا في الأسباب ويصعدوا المعارج إلى العرش فيستولوا عليه، ويدبروا الأمر. إذاً فليس لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما، فذلك لم يرثقوا في الأسباب.. إذاً فليخسأوا. ثم يبين لهم حقيقة أمرهم وسوء مصيرهم، فيقول: (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب)، وفي هذا تسليية وقوة عزم للرسول عليه الصلاة والسلام، أي لا تبال بما يقولون فإن مصيرهم الهزيمة، ولن ينتصروا عليك بحال. ويكمل الرد بسوق أمثلة ووقائع تاريخية حيث كذبت أقوام الرسل؛ فهلكوا.

وينتهي دور سورة "ص" في أن هؤلاء ضالون في عقيدتهم متطفلون فيما ليس لهم فيه، عاجزون عن امتلاك أمرهم فضلاً عن عجزهم عن امتلاك شؤون غيرهم. وأنهم لا محالة مهزومون، ثم يجول معهم القرآن جولات أخرى مبيناً لهم أن الأصنام التي يتخذون منها آلهة يعبدونها، ما هي إلا أشكال جامدة لا تنفع ولا تضر^{٨٦}.

٢. حوار بين نوح وقومه:

بذل نوح عليه السلام جهداً كبيراً في دعوته لقومه، على مدار ألف سنة إلا خمسين عاماً، وكان طوال هذه الفترة يحاور قومه مستخدماً كل أساليب الحوار، في محاولة لإقناعهم بدين الله، فما كان منهم إلا أن ردوا عليه: (ما نراك إلا بشراً مثلاً وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين)^{٨٧}.

فالآية القرآن تشير إلى الطريقة التي يفكر بها قوم نوح، ويجددون بناء عليها موقفهم من الرسالة. فالموضوع الأساسي لديهم، هو نوح ورسالته. فما الذي يميزه عنهم - وهو بشر مثلهم - ليتبوا هذا المركز الخطي. وإذا ما طرحوا قضية نوح جانباً، فما الذي يغريهم بالانتماء إليه، والاندفاع مع أتباعه - الذين هم أراذل القوم - فلا يشرف من يحترم شرفه وطبقته أن يكون معهم في صف واحد؟.

إن القضية تتمحور حول المستوى الاجتماعي الذي يطلبونه في الرسول والأتباع، لقبول دعوته. ثم يطرح هؤلاء مبرراً جديداً للرفض، وهو أن نوحاً وأتباعه يفتقدون إلى أية ميزة وأي فضل، يجعلهم في مركز الدعوة إلى السير في الخطى الجديدة التي يطرحونها. وفي نهاية المطاف، كانت هذه المبررات سبباً للنتيجة الطبيعية التي ختمت بها الآية كلمتهم (بل نظنكم كاذبين)، لأن مقياس الصدق والكذب متعلق بها، لا بالعقل والمحاكمة الفكرية للدعوة وأصحابها.

وبدأ نوح عليه السلام الحوار من المنطلق الذي انطلقوا فيه والأفكار التي أثاروها، لتصحيح المفهوم الخاطئ الذي حال بينهم وبين الانفتاح على قضايا الرسالة

ومفاهيمها في الحياة. (قال يقوم أرأيتم إن كنتُ على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون. ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون. ويقوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون. ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني مَلَكٌ ولا أقول للذين تزدي أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين)^{٨٨}.

إن ما يثيره أمامهم أن قضية النبوة والرسالة لا تعيش ضمن الإطار الذي وضعوها فيه، بل تعيش في نطاق البينة التي تشهد لها، والحجة التي تؤكد لها، وليس عليهم إلا أن يفتحوا على ذلك، ليعرفوا ما فيها من صدق وكذب. وأما موضوع البشرية، فإن نوح يؤكد تماماً، حين يجرد مركز الرسالة من كل صفة ترتفع بالرسالة عن صفة البشرية، فهو لا يملك السيطرة على خزائن الأرض، ليغري الناس بذلك فيسيرون معه طمعاً في خزائنه، ولا العلم بالغيب ليتبعه الناس من خلال قراءته للمستقبل أو الاطلاع على خفايا الناس وأسرارهم، أو الارتفاع إلى مستوى الشخصية الملائكية التي تجعله شخصاً سماوياً يخاف الناس منه ويخضعون له .. بل هو رسول الله أتاه الرسالة رحمة منه، وزوده بالأدلة عليها، فما عليهم إلا الانفتاح عليها بعقولهم وأفكارهم، دون وجود ما يلزمهم باتباعها قسراً إذا اختاروا طريق العمى، وأعرضوا عن النظر إليها بقلوب واعية مفتوحة .

ثم يحاول أن يفهمهم أن هروبهم من دعوته، إذا كان نتيجة خوفهم من خسارة مادية يفرضها عليهم لمصلحته الشخصية، فإن عليهم أن يطمأنوا إلى أن الأنبياء لا يطلبون أجراً من أحد، وأن أجرهم على الله في الدنيا والآخرة. ثم تحدث عن أتباعه الفقراء البسطاء الذين يملكون موقفاً متدنياً في الهرم الطبقي، الذي يقيس الناس بمقاييس المال والجاه والنسب والقوة، ليعلن لهم أنه لا يمكن أن يطرد هؤلاء المؤمنين، فإنهم سيلاقون الله ويقدمون له نتائج أعمالهم، وسيجدون عند الله المقام الكبير والشأن العظيم، لأن الله لا يزدي الإنسان لشكله أو لماله أو لمركزه

الاجتماعي، بل لقلبه ولعمله. فإذا كان الله يعلم الخير في أنفسهم، فإنه سيجزيهم خيراً على نياتهم وأعمالهم .

ثم يثير أمامهم قضية القوة والضعف. فمن الذي ينصره من الله إن طردهم؟ هل يستطيعون هم توفير الحماية له، إذا ما أراد الله تعذيبه على إبعاد هؤلاء المؤمنين الذين هم أولياء الله وجنده ؟، إنه يطلب منهم الاستيقاظ من جهلهم وغفلتهم، وتذكر واقعهم ومركزهم، وما يملكونه من قوة، وما يتخبطون فيه من ضلال. إنه يثير أمامهم ذلك كله بمحبة وانفتاح، فما ردهم وموقفهم ؟، هل هو الحوار في مقابل الحوار، أم العناد والمكابرة والاستهانة بالوعد بالعذاب ؟، إنهم ليسوا في مستوى الحوار، لأنهم لا يملكون الكلمة القوية التي تستند إلى إيمان واع ومنفتح، ولا الحجة البالغة التي يقاومون بها حجته، فلم يبق إلا العناد والتحدي ونفاد الصبر. (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثر جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين)^{٩٠}. وقد هددوه بالرجم إذا ما استمر في دعوته هذه كما جاء في قوله تعالى في سورة أخرى: (قالوا لئن لم تنته ينوح لتكونن من المرجومين)^{٩١}. فماذا كان جواب نوح ؟، إنه لم يؤكد لهم العذاب، ولم يحاول أن يزهو أمامهم بقدرته لا يملكها، بل أراد أن يحافظ على شخصيته كرسول لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولم ينه دعوته بأفضل مما بدأها، فهو قد أعلن لهم - في البداية - أنه يخاف عليهم عذاب يوم أليم، ولا يزال خوفه حاضرا، لا سيما وقد تمردوا من غير حجة ولا برهان، ولهذا كان رد فعله هادئا هدوء روح الرسالة. (قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين)^{٩٢}.

ثم يتدخل التوجيه الإلهي، ليوحي إليه بأسلوب الرد على فكرة الافتراء والكذب التي ينسبونها إليه، ليعلن أنه يتحمل مسؤولية كل ما يقول وما يدعو إليه، ولكنه لا يتحمل مسؤولية عنادهم وكفرهم وتمردهم، مغلقا بذلك الباب على كل جدال لا يرجى نتيجة من ورائه، لأنهم ليسوا في مستواه (أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون)^{٩٣}.

إن هذا الفصل من فصول الحوار يجسد لنا - بوضوح - الفرق بين أسلوب الرسل في الدعوة، وبين أسلوب الكفار في الرد، ويثير أمامنا ما يجب أن يتحلى به الدعاة في كل زمان ومكان، من روح هادئة واثقة تقابل التحدي بعيداً عن الحقد، بل ترده بالحجة القويّة في إطار من المحبة والحنان، لتترك للآخرين مجال التراجع من خلال المحبة، إذا لم يتراجعوا من خلال الفكر، لأن المحبة قد تجلب القلب إلى الحقيقة، في الوقت الذي يبتعد فيه الفكر عن مواجهة الحق بوضوح. وتعطينا - في الوقت ذاته - المثل الحيّ على أن الرسائل تنطلق من قاعدة الانفتاح على الحقيقة بكل رحابتها وسعتها، في الوقت الذي يقف فيه خصومها في المسارب الضيقة الملتوية التي تضيق بسالكها قبل أن تضيق بالآخرين .

٣. حوار بين إبراهيم وأبيه:

رأى إبراهيم عليه السلام أن من مهماته الأولية في الدعوة إلى الله أن يبدأ مع أبيه، لأن بقاء أبيه على الكفر يخلق نقطة ضعف في موقفه، وقد يسبب له مصاعب تعطل خطواته، أو تجلب له مشاكل غير منتظرة. وقد كان الحوار يواجه صعوبة في بدايته، لأنه حوار الابن لأبيه في مجتمع يعطي للأبوة قيمة كبيرة ترتقي إلى درجة القداسة، وتلزم الأبناء بالخضوع المطلق لأبائهم ولهذا كان إبراهيم حذراً في أسلوبه، فلم يلجأ إلى استخدام أي عنصر من عناصر الإثارة التي تتناول الذات بالتجريح والتبكيث، بل حاول - على العكس من ذلك - أن يشحن أسلوبه في الحوار بالعاطفة بحيث يشعر من يقرأه أن في الموقف ما يعبر عن حالة توصل إلى أبيه، هي حالة من يخاطب إنساناً عزيزاً معرضاً للسقوط أو للهلاك، يتحدث معه بكل هلع ومحبة لإنقاذه، لذا نجد في الحوار، بساطة الفكرة ووضوحها في إطار الجو الحميم الذي يسود الموقف: (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً. إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً. يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً. يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً. يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون

للشيطان ولياً. قال أرغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً. قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيماً. وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً^{٩٣}.

يُلاحظ في أسلوب إبراهيم عليه السلام أنه حاول تبرير دعوته لأبيه، بأن ما جاءه من العلم لم يأت أباه، ولذا فلا مانع - من وجهة اجتماعية - أن يدعو الابن أباه مع حفظ مقام الأبوة، كما عبر عن شعوره العاطفي تجاه ضلال أبيه وخوفه من أن يمسّه عذاب الله. وقد كان ردّ أبيه رداً ينطلق من الشعور بالسلطة الأبوية التي تسمح للأب بالضغط على الابن، ليسير على خطى أبيه، وتهده بالقوة والطرده والهجران إن خالف ذلك، فلا حوار في علاقتهما، إنما أمر وطاعة. فلأب أن يعلن عن رغبته، وعلى الابن أن ينفذ دون تردد أو تفكير. إنها الشريعة السائدة آنذاك، التي تجعل من علاقة الآباء بأبنائهم علاقة تشبه العبودية.

ولم يتراجع إبراهيم عن إثارة الجو العاطفي في موقفه من أبيه، حيث استطاع أن يوفق بين الرسالة والعاطفة، فجعل العاطفة والإحساس بالمسؤولية تجاه أبيه طريقاً للرسالة، لأن ذلك يحول الموقف إلى موقف إنقاذ. فكان رد فعله تجاه إنكار أبيه التوجه إليه بالسلام، والوعد بالدعاء له بالمغفرة، بأن يوفقه لأسبابها من الهداية إلى الإيمان، والإعلان له ولقومه - باعتباره أن أباه يمثل فريق الكفر - بأنه سيعتزلهم وما يعبدون من دون الله بعد أن قام بواجبه تجاههم.

وجاء هذا الوعد من إبراهيم لأبيه بالاستغفار، نتيجة شعوره بالأمل في أن يتراجع أبوه عن موقفه ويرجع إلى الله، وليس نتيجة الشعور بأن القرابة تمثل امتيازاً يميز أباه عن غيره. ولذا أعلن البراءة منه بعد وضوح موقفه تماماً، وظهور عداوته لله، ويأسه من إيمانه. ونحن في مجال الدعوة، نستطيع الاستفادة من هذا الأسلوب في مواجهة عداوة الأشخاص الذين نرتبط بهم ببعض الروابط العاطفية من نسب وغيره، حيث يمكننا شحن الحوار بالمشاعر العاطفية، التي تسهل المهمة بما تنثيره لديهم من أحاسيس عاطفية من جهة، ومن انسجام مع الأجواء الحميمة للحوار من جهة أخرى،

دون الانجراف مع العاطفة لمصلحة الكفر والضلال، لأن الأسلوب العاطفي في مثل هذا الأمر لا يشكل استجابة لحالة نفسية عفوية، بل يركز على تخطيط يعتبر العاطفة جزءاً منه، ويخضع لما تخضع له الخطة من مرونة ووعي وثبات.

وعلى ضوء هذا، نجد أنه من واجبنا إعطاء الأسلوب بعض القوة في حالات أخرى، تقتضي منّا أن نواجه الآخرين بشدة إذا ما أرادوا استغلال الجانب العاطفي لأغراض في غير صالح الدعوة إلى الله، تماماً كما كان عليه الأسلوب الآخر لإبراهيم، الذي كنا قد أشرنا إليه، ليظل الأسلوب منسجماً مع خط الحكمة الذي يريد الله للدعوة في سبيله أن تسير عليه. وقد نشعر - في نهاية المطاف - بالحاجة إلى خلق الأجواء الروحية في بعض حالات الحوار، في ربط المتحاورين بفضل الله ونعمه، أو في ابتهاج خاشع يمارسه الداعية للتأثير النفسي على الآخرين، عندما يشغلهم عما هم فيه بروعة المناجاة وخشوع الابتهاج^{٩٤}.

الخاتمة:

وبعد هذه الجولة الشيقة، والرحلة الممتعة، مع موضوع حيويّ من مواضيع القرآن الكريم، فإنه يجدر بنا أن نسجل أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

١. كلمة الحوار أوسع مدلولاً من كلمة الجدل، لأنّ الجدل يتضمن معنى الصراع واللد في الخصومة، بينما يُراد من الحوار إيضاح الفكرة بطريقة السؤال والجواب، سواء تضمن ذلك معنى الخصومة أم لا.
٢. لابد للشخص الذي يدير عملية الحوار أن يملك القدرة على الحركة الفكرية، وأن يكون لديه الثقة بشخصيته الفكرية المستقلة، حتى لا يتحول إلى مجرد صدى للأفكار التي يتلقاها من الطرف الآخر.
٣. الوصول إلى الحقيقة هو الغرض الأساسي للحوار القرآني، وليس من غرض هذا الحوار، عرض العضلات والمزايدات الجدلية، التي لا تقدّم ولا تؤخر.
٤. حتى يصل الحوار إلى هدفه ومبتغاه، لابد من توفر الأجواء الهادئة، والابتعاد عن الأجواء الانفعالية، التي قد تعيق عن التأمل والتدبر.

٥. أسلوب الحوار في القرآن يركز على الناحية السلمية، التي تعتمد اللين والمحبة أساساً للصراع، لأن الصراع الفكري في نظر القرآن وسيلة من وسائل الحركة المنفتحة للوصول إلى الهدف، وهو الإيمان بالحق والوقوف إلى جانبه.
٦. لم يقتصر القرآن الكريم على استخدام الحوار في مجابهة الأعداء والمخالفين، وإنما جعله في كثير من المواضع وسيلة للتربية والتوجيه، مما يدل على اهتمام القرآن به، وحرصه على الأسلوب الذي يؤدي به .
٧. تتبع أهمية الحوار من أهمية الكلام نفسه، الذي يُعدّ بمثابة السلاح الذي يحمله كل نبيّ في تبليغ دعوته إلى الآخرين .
٨. المحاوره غرض أساسي من أغراض القرآن، لذلك لم تقتصر على نوع أو جانب معين، بل شملت كلّ اتجاهات الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها.
٩. الاعتماد على العقل اتجاه واضح في كلّ أساليب الحوار في القرآن، بحيث يتجه إلى إبراز الحجة والمنطق العقلي، ويتابع التسلسل المنطقي مهما بلغ من صور الافتراضات التي قد تتنافى مع أسس القرآن.
١٠. الحوار القرآني يركز على النتيجة، ويهتم بإعلانها ونشرها؛ لأنها محور الخصومة، أمّا الخصم فلا يهدف القرآن إلى إيذائه أو النيل منه، حتى بعد إعلان خطئه، لأن القرآن لا يهتم كثيراً بالأشخاص إلا بمقدار اعتراضهم طريق نشر الدين.
١١. الحوار القرآني خاطب الشخصية الإنسانية بجوانبها المختلفة، فقد خاطب في
١٢. الإنسان الجانب العقلي، والجانب العاطفي، والجانب الغريزي.
١٣. من أهمّ أساليب الحوار التي استخدمها القرآن الكريم: القول بالموجب، الانتقال، مجارة الخصم، الإسجال، التسليم، التقسيم والسبر، نقض الفرض، البيان.
١٤. الناظر في كتاب الله عز وجل، يجد الكثير من النماذج الحية التي دار فيها الحوار بين فئات مختلفة. كالحوار بين المؤمنين والكافرين، وبين الأنبياء وأقوامهم، وبين الله والملائكة، وغير ذلك .

الهوامش:

- ^١ ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري: *لسان العرب* (بيروت: دار صادر)، فصل الرءاء باب الحاء، ٢١٨/٤.
- ^٢ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: *مختار الصحاح*، تحقيق: محمود خاطر (بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، طبعة جديدة)، كتاب الحاء، ٦٧/١.
- ^٣ ابن منظور: *لسان العرب*، فصل اللام باب الجيم، ١٠٥/١١.
- ^٤ سورة الكهف: الآية ٣٤.
- ^٥ سورة الكهف: الآية ٣٧.
- ^٦ سورة المجادلة: الآية ١.
- ^٧ حفني، عبد الحليم: *أسلوب المحاور في القرآن الكريم* (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٨٥م)، ص ١٣.
- ^٨ المرجع السابق، نفس الصفحة.
- ^٩ فضل الله، محمد حسين: *الحوار في القرآن* (بيروت: دار الملاك، ط١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ص ٦٨-٦٩.
- ^{١٠} سورة الكهف: الآية ١١٠.
- ^{١١} سورة البقرة: الآيتان ٦-٧.
- ^{١٢} فضل الله: *الحوار في القرآن*، ص ٦٩ - ٧٠.
- ^{١٣} سورة سبأ: الآية ٤٦.
- ^{١٤} فضل الله: *الحوار في القرآن*، ص ٧٥. وانظر: تفسير الآية حول هذا المعنى: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي: *تفسير القرآن العظيم* (بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ)، ٥٤٤/٣.
- ^{١٥} سورة آل عمران: الآية ٦٦.
- ^{١٦} النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود: *تفسير النسفي* (بدون معلومات النشر)، ١٥٩/١.
- ^{١٧} سورة فصلت: الآية ٣٣-٣٥.
- ^{١٨} فضل الله: *الحوار في القرآن*، ص ٨٢-٨٣.
- ^{١٩} المرجع السابق، ص ٨٣-٨٤.
- ^{٢٠} المويل، محمد كمال: *الحوار في القرآن الكريم*، تقديم: مصطفى الخن (دمشق: دار الفارابي، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص ٢٤.
- ^{٢١} الصنعاني، محمد بن إسماعيل: *إرشاد النقاد*، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد (الكويت: الدار السلفية، ط١، ١٤٠٥هـ)، ١٤/١. العمري، صالح بن محمد بن نوح: *إيقاظ الهمم* (بيروت: دار المعرفة، ١٢٩٨هـ)، ١١٠/١.
- ^{٢٢} المويل، محمد كمال: *الحوار في القرآن الكريم*، ص ٢٤.

- ^{٢٣} الكهف: ٥٤
- ^{٢٤} فضل الله: الحوار في القرآن، ص ٥٥-٥٦.
- ^{٢٥} حفني، عبد الحليم: أسلوب المحاور في القرآن الكريم، ص ١٦-١٧.
- ^{٢٦} سورة طه: الآيات ٢٥-٢٨.
- ^{٢٧} سورة القصص: الآية ٣٤.
- ^{٢٨} حفني، عبد الحليم، المرجع السابق، ص ١٧-١٨.
- ^{٢٩} القرطبي، أبو عبد الله محمد أحمد بن أبي بكر بن فرح: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد الحليم البردوني (القاهرة: دار الشعب، ط٢، ١٣٧٢)، ٢٨٦/٣.
- ^{٣٠} حفني، عبد الحليم: أسلوب المحاور في القرآن الكريم، ص ٢٧-٢٨.
- ^{٣١} المرجع السابق، ص ٢٩.
- ^{٣٢} الغزالي، محمد: مقدمة كتاب "الحوار لغة القرآن والسنة" لإبراهيم الوقفي (مصر: دار الفكر العربي، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص ٤.
- ^{٣٣} سورة الإسراء: الآية ٤٢.
- ^{٣٤} سورة الأنبياء: ٢٢.
- ^{٣٥} سورة الأنعام: الآية ٧٦.
- ^{٣٦} حفني، عبد الحليم: أسلوب المحاور في القرآن الكريم، ص ٣٠-٣١.
- ^{٣٧} المرجع السابق، ص ٧٢.
- ^{٣٨} سورة يس: الآيتان ٧٨-٧٩.
- ^{٣٩} سورة القصص: الآية ٨٥.
- ^{٤٠} سورة سبأ: الآية ٢٤-٢٦.
- ^{٤١} حفني، عبد الحليم: أسلوب المحاور في القرآن الكريم، ص ٣٣-٣٤.
- ^{٤٢} فضل الله: الحوار في القرآن، ص ٥٧.
- ^{٤٣} حفني، عبد الحليم: أسلوب المحاور في القرآن الكريم، ص ٣٦.
- ^{٤٤} سورة الأنعام: الآية ٧٨.
- ^{٤٥} سورة الأنعام: الآيات ٧٨-٧٩.
- ^{٤٦} المرجع السابق، ص ٣٩-٤١.
- ^{٤٧} سورة الأنعام: الآية ١٤٧.
- ^{٤٨} حفني، عبد الحليم: أسلوب المحاور في القرآن الكريم، ص ٢٩-٤١.
- ^{٤٩} سورة هود: الآية ٥٠.
- ^{٥٠} للوقوف على مزيد من المعاني والتفصيلات حول استخدام أسلوب الترغيب والترهيب انظر: كرزون،

- أنس أحمد: منهج الإسلام في تزكية النفس (بيروت: دار ابن حزم/جدة: دار نور المكتبات، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ١/٤٧٣-٤٨٣.
- ^{٥١} سورة النحل: الآية ٩٧.
- ^{٥٢} سورة نوح: الآيات ١٠-١٥.
- ^{٥٣} سورة الأعراف: الآية ٩٦.
- ^{٥٤} الفقيه، محمد جواد: مكانة العقل والعلم في الإسلام (بيروت: دار الأضواء، ط ١، ١٤١٢هـ/١٩٩٣م)، ص ٢١.
- ^{٥٥} حفني، عبد الحليم: أسلوب المحاوراة في القرآن الكريم، ص ٥١.
- ^{٥٦} حفني، عبد الحليم: أسلوب المحاوراة في القرآن الكريم ص ٥١-٥٢.
- ^{٥٧} سورة الأنعام: الآية ٧٦.
- ^{٥٨} سورة الصافات: الآية ١٠٢.
- ^{٥٩} حفني، عبد الحليم: أسلوب المحاوراة في القرآن الكريم، ص ٥٢-٥٤.
- ^{٦٠} ذكر السيوطي بعضاً من هذه الأساليب. انظر: السيوطي، أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين: الإتقان في علوم القرآن، بدون رقم الطبعة، دن، ٢/٢٥٨-٢٦١.
- ^{٦١} بدوي، أحمد أحمد: من بلاغة القرآن (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر)، ص ٣٧٤.
- ^{٦٢} سورة المنافقون: الآية ٨.
- ^{٦٣} سورة التوبة: الآية ٦١.
- ^{٦٤} بدوي، أحمد: من بلاغة القرآن، ص ٣٧٤.
- ^{٦٥} سورة البقرة: الآية ٢٥٨.
- ^{٦٦} بدوي: من بلاغة القرآن، ص ٣٧٥.
- ^{٦٧} سورة إبراهيم: الآيتان ١٠-١١.
- ^{٦٨} سوري الأنعام: الآيتان ٨-٩.
- ^{٦٩} بدوي: من بلاغة القرآن، ص ٣٧٦.
- ^{٧٠} سورة الأعراف: الآية ٤٤.
- ^{٧١} المرجع السابق، ص ٣٧٧.
- ^{٧٢} سورة الأنبياء: الآية ٢٢.
- ^{٧٣} سورة المؤمنون: الآية ٩١.
- ^{٧٤} المرجع السابق، ص ٣٧٦.
- ^{٧٥} الغزالي، أبو حامد محمد: الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق: د. انصاف رمضان، بيروت: دار الكتب العلمية، ٥/١.

- ^{٧٦} سورة الأنعام: الآيات: ١٤٢-١٤٤.
- ^{٧٧} بدوي: من بلاغة القرآن، ص ٣٧٧.
- ^{٧٨} المويل، محمد كمال: الحوار في القرآن الكريم، ص ٦-٧.
- ^{٧٩} سورة البقرة: الآية ٨٠.
- ^{٨٠} سورة البقرة: الآية ١٣٥.
- ^{٨١} سورة البقرة: ١٣٥
- ^{٨٢} سورة الزمر: الآية ٣.
- ^{٨٣} سورة ص: الآية ٥-٨.
- ^{٨٤} أنظر معنى الملة الآخرة في: الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف (بيروت: دار الكتاب العربي، منشور مع أربعة كتب في ذيله)، ٧٣/٤.
- ^{٨٥} سورة (ص): الآيات ٨-١٤.
- ^{٨٦} المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (القاهرة: مكتبة وهبة، ط ١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ٤٣١/١-٤٣٣.
- ^{٨٧} سورة هود: الآية ٢٧.
- ^{٨٨} سورة هود: الآيات ٢٨-٣١.
- ^{٨٩} سورة هود: الآية ٣٢.
- ^{٩٠} سورة الشعراء: الآية ١١٦.
- ^{٩١} سورة هود: الآية ٣٣.
- ^{٩٢} سورة هود: الآية ٣٥.
- ^{٩٣} سورة مريم: الآيات ٤١-٤٨.
- ^{٩٤} فضل الله، محمد حسين: الحوار في القرآن الكريم، ص ٢٦٣ - ٢٦٥. وللوقوف على تفاصيل أخرى لهذا الحوار انظر: الوقفي، إبراهيم أحمد: الحوار لغة القرآن والسنة (مصر: دار الفكر العربي، ط ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص ١١-١٣.

قائمة المراجع:

- ١- القرآن الكريم
- ٢- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ).
- ٣- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب، (بيروت: دار صادر).
- ٤- بدوي، أحمد أحمد: من بلاغة القرآن، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر).
- ٥- حنفي، عبد الحليم: أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، (مصر: الهيئة المصرية العامة لكتاب، ط ٢، ١٩٨٥م).

- ٦- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م).
- ٧- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: الكشف، (بيروت: دار الكتاب العربي، مطبوع مع أربعة كتب في ذيله).
- ٨- السيوطي، أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال: الإتقان في علوم القرآن، بدون بلد ودار النشر.
- ٩- الصنعاني، محمد بن إسماعيل: إرشاد النقاد، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، (الكويت: الدار السلفية، ط١، ١٤٠٥ هـ).
- ١٠- عباس، فضل حسن: القصص القرآني إبحاره ونفحاته، (عمان: دار الفرقان، ط١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م).
- ١١- العمري، صالح بن محمد بن نوح: إيقاظ الهمم، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٨ هـ).
- ١٢- الغزالي، أبو حامد محمد: الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق: د. انصاف رمضان، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ١٣- _____: مقدمة كتاب "الحوار لغة القرآن والسنة" لإبراهيم الوقفي (مصر: دار الفكر العربي، ط١، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م).
- ١٤- فضل الله، محمد حسين: الحوار في القرآن، (بيروت: دار الملاك، ط٦، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م).
- ١٥- الفقيه، محمد جواد: مكانة العقل والعلم في الإسلام، (بيروت: دار الأضواء، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٣ م).
- ١٦- القرطبي، أبو عبد الله محمد أحمد بن أبي بكر بن فرج: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد الحليم البردوني، (القاهرة: دار الشعب، ط٢، ١٣٧٢ هـ).
- ١٧- كرزون، أنس أحمد: منهج الإسلام في تزكية النفس، (بيروت: دار ابن حزم، جدة: دار نور المكتبات، ط١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م).
- ١٨- محمد، عبد الصمد عبد الله: خطاب الأنبياء في القرآن الكريم، (القاهرة: مكتبة الزهراء، ط١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م).
- ١٩- المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م).
- ٢٠- المويل، محمد كمال: الحوار في القرآن الكريم، تقديم: مصطفى الخن، (دمشق: دار الفارابي، ط١، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م).
- ٢١- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود: تفسير النسفي، بدون معلومات نشر.
- ٢٢- الوقفي، إبراهيم أحمد: الحوار لغة القرآن والسنة، (مصر: دار الفكر العربي، ط١، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م).